

المحاضرة السادسة: النقد الظاهري للمادة التاريخية

النقد التاريخي: Historical criticism

1-النقد الظاهري للمادة التاريخية

يمر النقد التاريخي عبر عدّة مراحل فالنقد الظاهري Eternal criticism يتعلق بعدّة امور ، مثل اثبات صحة الاصل التاريخي ، ونوع الخط و الورق ، وتعيين شخصية المؤلف وزمان التدوين ومكانه ، اما الباطني Internal criticism فيبحث في الحالات العقلية التي مرّ خلالها كاتب الاصل التاريخي ويحاول ان يتبين قصد الكاتب بما كتب ، وهل كان يعتقد صحة ما كتبه ، وهل توفرت المبررات التي جعلته يعتقد صحة ذلك ، واساس النقد الحذر و الشك في معلومات الاصل التاريخي ، ثم دراسته و فهمه و استخلاص الحقائق من ثناياه ، وما اكثر ما يتكلم الناس عن ضرورة النقد لكن كثيرين منهم لا يطبقونه عمليا ، لانه ليس بالامر السهل .

قد يكون الانسان في حياته اليومية اميل الى تصديق ما يصادف هوى في نفسه ، وابتعد عن تكذيب ما يصطدم بعواطفه ورغباته ، وليس من المستطاع قبول اقوال الناس بنفس الثقة ، وقد استخدم كثير من المؤرخين في الزمن الماضي الاصول التاريخية دون نقد او تمحيص اذ انه اسهل على الانسان ان يصدّق بغير مناقشة ويوافق دون نقد ، لكنه لا يستطيع الوصول الى الحقيقة التاريخية اذا لم يعمل النقد في كل ما يقع تحت يده من انواع الاصول التاريخية وهو ما قد يستغرق زمنا ليس بالقليل .

أوّل مرحلة من مراحل نقد الاصول التاريخية هي اثبات صحتها ، فاذا كان الاصل او المصدر كله او بعضه مزيفا او منتحلا فلا يمكن الاعتماد عليه على وجه العموم ،

علما أنّ التزييف و الانتحال يوجدان في كل انواع الاصول و المصادر التاريخية و اذا بنى المؤرخ ابحاثه على اصول مزورة منتحلة ، خرج بنتائج بعيدة عن الحقيقة ومخالفة للواقع التاريخي . حينما يثبت للباحث أنّ الاصل او المصدر التاريخي غير مزيف ، ليس معنى ذلك أنّ المعلومات الواردة به ذات قيمة تاريخية كبيرة ولا بد من نقد الاصل التاريخي من نواح اخرى ، وتحمل بعض الاصول اسم مؤلفها وزمان تدوينها و مكانه و بعض الاصول التي تكون متسمة بطابع الصحة و عدم التزييف ، تغفل احيانا ناحية او اكثر من هذه النواحي ، فينقص ذلك من قيمتها التاريخية ، فكيف يقدر الباحث قيمة الاصل التاريخي وهو يجهل اسم مؤلفه و شخصيته و علاقته بالحوادث ، هل شهدها بنفسه ام سمعها و نقلها ؟ومتى دوّنوها ؟ هل دوّنوها في اثناء وقوع الحوادث ام في مكان بعيد عنه ؟ من الضروري معرفة كل او اغلب هذه النواحي ، بقدر المستطاع .

انّ معرفة كاتب الاصل التاريخي وشخصيته مسألة هامة ، لأنّ قيمة المعلومات التي يوردها ترتبط كل الارتباط بشخصية الكاتب ومدى فهمه للحوادث ، وبكل الظروف التي تحيط به على وجه العموم وكاتب الاصل التاريخي سواء كان شاهد عيان ام اعتمد على غيره من شهود العيان او الرواة ، يعد الواسطة التي يصل المؤرخ عن طريقها الى الوقائع التاريخية ، فاذا كان الكاتب ثقة بعيدا عن الاهواء بقدر المستطاع ، كانت معاوماته أقرب الى الصحة بصفة عامة ، والعكس صحيح .

ينبغي ان نلاحظ أنّ وضع اسم شخص ما على اصل تاريخي لا يعني حتما انه هو كاتبه كله او بعضه ، وفي أحوال كثيرة يمكن للمؤرخ ان يتعرف على كاتب الاصل التاريخي المخطوط بدراسة نوع الورق و الخط و الحبر و اللغة و الاسلوب و المصطلحات الخاصة بالعهد التاريخي المعين ، وبدراسة المعلومات التاريخية الواردة به . معرفة الزمن الذي دوّن فيه الاصل التاريخي اساسي فقد يكون الاصل صحيحا وقد يكون كاتبه يتحرى الصدق و يبتعد عن الهوى ، ومع ذلك فقد ينقص من قيمته

التاريخية بعد الزمن بين وقوع الحادث ورؤيته وبين تدوين اخباره ، فالذاكرة تخون الانسان ، وكلما بعد بالكاتب العهد عن زمن وقوع الحادث تعرّض لأن يفوته قليل او كثير من التفاصيل الخاصة ، مهما كانت رغبته في قول الصدق قوية ، ومهما حاول استرجاع وقائع الماضي .